

# ترسيم الحدود: مدرسة حافظ الأسد ليست جوابا



إياه ذهبوا إليه ضمن إطار تقديم إيران أوراق اعتمادها إلى الفائز في انتخابات الثالث من نوفمبر؛ والبلاد دون حكومة، وبدون اقتصاد، وبدون ليرة في الأسواق بعد نضوب القطع الأجنبي، وبدون حبة دواء في الصيدليات؛ يتوهمون أن "فن التفاوض" يشتري لهم أمانا؛ فيما هو يؤدي بهم إلى ما أدى بغلبة استنادهم ونظامه، مما يقف لبنان على أبوابه، وقد سموها جهنم.

بعدها قوضتم بأيديكم، ببلاهة من تقطعت بهم السبل، عرضا دوليا منطقيا لإنقاذ بلدكم، يؤمل بان يستجيب اللبنانيون أنفاسهم، ويبدؤون في إعادة بناء اقتصادهم بالجهد والتضحية. مشيتم على رجلينكم على طريق التفاوض الخطر مع ألد أعدائكم، وحال لبنان ما هي عليه؛ على هذا الدرب الضيق المحفوف بكل الأخطار.

ما حفظكم من فنون حافظ الأسد يؤدي بكم حصرا إلى حال "سوريا الأسد".

لاستنادهم في الزمن الغابر؛ فيما المتاح اتفاق واقعي حول الحدود البحرية وما يقع تحتها من موارد؛ اتفاق يقع في القانون بين العودة إلى "اتفاقية الهدنة" في أحسن الأحوال والمعاهدة الكاملة. للعبرة إذا وجد من يعتبر؛ فصل من "مدرسة فن التفاوض"؛ عندما كان البحث يدور حول العلاقات الدبلوماسية الكاملة مقابل الانسحاب الكامل؛ ناظر الخارجية وارن كريستوفر، جاء إثر جولة موكية بجواب الرئيس السوري؛ وقوامه أن لسوريا علاقات دبلوماسية مع أكثر من مئة وأربعين دولة؛ دون أن يعني ذلك تبادل فتح سفارات في كل تلك الدول؛ وكانا خستان مثال على تلك الحال، حيث لسوريا علاقات دبلوماسية مع هذه الدولة، دون وجود سفارات في العاصمتين؛ جواب إسحاق رابين "إذا فلتراجع له كانا خستان الجولان"؛

سوف يمضي عهد رابين باغبالية؛ وسوف يستهلك حافظ الأسد من بعده حكومتها الإسرائيلية وعهودا؛ سوى أنه حين انتقل من "فن التفاوض" إلى "فن التوريت" صار الجولان في طريقه ليصبح مقاطعة سياحية مزدهرة في إسرائيل؛ وصارت سوريا نهبا لاحتلالات أربعة جديدة؛ وشعبها مشرد، لاجئ في أربع رياح الأرض.

أما في لبنان فقلاميد "فن التفاوض"

بالكاد انقضت جولة التفاوض الأولى، حتى تبلمغوا أن أميركا إياها تطلب حزمة الإصلاحات التي اقترحتها فرنسا، شرطا لقيام نصاب دولة بالحد الأدنى، يصار إلى اعتمادها دوليا وفي الإقليم، ففاوض مع إسرائيل ثم مع سوريا، على الحدود مع جارين تنسم العلاقة معهما بنفس مستوى التعقيد والعداوة.

لم تصل بهم الفطنة نقطة الإدراك أن المجتمع الدولي موحد في مقاربهته لأوضاع بلدكم؛ الأميركيان والأوروبيون وحتى الروس؛ كل هذه الدول تسعى لبنيان لطبع أوضاعكم، كي يصبح هو أولا دولة طبيعية؛ والمقترح دوليا مشوار يبدأ من الداخل باتجاه الحدود، كل الحدود في الجنوب والشرق والشمال، وهذا المنطق الأسلم؛ أو من هذه الحدود جميعها باتجاه الداخل، أمانا واقتصادا وعقدا اجتماعيا وسياسيا.

والأدهى أن المجتمع الدولي على عجلة من أمره، اتقاء لمصالحه؛ فيما يعالين مظلوه يوميا، تحول معظم اللبنانيين إلى شعب جائع، شاردا، وبالتالي طالب لجوء على أبواب سفاراته، أو بالقراب عبر البحر هربا من حكم الطغمة التي تتعطر في حكمه. لذا فبز الأمان المتاح أمام مجتهدتي مدرسة التفاوض الأسدية ضيق وقصير؛ هم الذين اختاروا المشوار الثاني متوهمين أنه يتيح لهم ما اتاحه

محكومة بنصوص القانون الدولي ضمن إطار مفاوضات ثلاثية، ثالتهما فيها سوريا؛ وهي قد لا تكون بعيدة عما تظهره الإشارات المتنامية والاهتمام الروسي المستجد.

مفاوضات ترسيم الحدود البحرية تستضيفها الأمم المتحدة على الأرض اللبنانية، حيث أن لا مراكز للمنظمة الدولية على الجانب المقابل؛ فالقوات الدولية مكلفة بموجب القرار 1701 بمراقبة ما يجري داخل بلادنا حصرا، بموجب ما ألت إليه أيام "المقاومة" ثم "المانعة" المتعاقبة من 1993 إلى 2006؛ مما يراه الممانعون فوزا وضمانا.

كل ذلك حسن، ولعله يفضي إلى خير هذه البلاد وأهلها الذين يسامون أنواع العذاب؛ سوى أن بوادر ما نحن فيه، جولة أولى ثم ثانية ثم ثالثة ينشي بان القائمين على الأمر الخطير، وكأنهم استلوا من جعبتهم كراس "فن التفاوض" وياشروا تطبيق مقدمته الأثيرة؛ الوفد التفاوضي والمناقة على تركيبته مدنيين وعسكر، وفحوصات وطنية ثم ولاء أعضائه؛ ثم التفتت عند مطالب واستيغادنا من التفريط.

هي مقدمات الاستيطان المديد، عهد من الزمن وربما أكثر، إزاء طاولة المفاوضات؛ برج الأمان، ونبع المكاسب، وياب الحكم والسلطان، حسب العقيدة الأثيرة.

سوى أن واقع حال ميريدي المدرسة الأسدية ومجتهديه اللبنانيين، أن ميزان القوة بينهم وبين من هم قبالتهم، أعداء ومسهلون ومستصفون، لا يتيح لهم من عمر الزمن سوى عقد من الأسابيع وربما الشهور في أحسن الأحوال.

ثم إن أوضاع بلادكم هي أقرب إلى واقع حال بلاد الأسد في عهد رويته؛ بما لا يتيح لهم نضوب طاولة التفاوض على الحدود، والجلوس وراءها ففاوضين على الترسيم ظاهرا، ومتلطفين إلى ابتاع كل ما هو قائل شمال تلك الحدود، فيما يبدو أنهم يضمرونه ويضمعون عليه.

لا يلام المراديون الأسديون، فالنفس أمارة بالطمع، في سياسات لظالم كانت مزمنة؛ ولكنهم اقتقدوا دهاء استنادهم باستسهالهم تقويض مبادرة رئيس فرنسا، وجورها معالجة الأنهار الذي أنتجته حكمهم المديد؛ بإصلاحات تعيد تكوين نواة اقتصاد، بما يتيح للبلاد القيام بأود شعبها، كمدخل إلى القيام بموجبات الدولة، ومن بينها التفاوض مع القوة العظمى الإقليمية.

صدوا فرنسا التماسا لرضا أميركا؛ ثم

"محور الممانعة" ال إليه هذا الإرث الخالد بكيته، بعدما انتقلت أحزابها وحركاته وشخصياته من خدمة ال الأسد إلى الانتظام في فيالق "ولاية الفقيه"، تحت إمرة قاسم سليمان، الذي التمتعت في مرايا شخصه الرهيب ظلال حسن محمد الصباح، "شيخ الجبل" حليف أواخر الصليبيين المضرج بدماء المسلمين، وأبومسلم الخرساني، داعية "أبو العباس السفاح"، وقتيل خليفته "المنصور".

تلاميذ حافظ الأسد اللبنانيون، وجميعهم دون استثناء تتلمذوا عليه في مطالع حياتهم السياسية، عادوا إليه بعدما أدبرت بهم أسدّت أمامهم السبل وتداعت بهم مشاريع الغلبة؛ إلى حد أن أذن لهم "المرشد" في طهران، الطلب من الولايات المتحدة أن تقيم لهم طاولة، وتنظم لهم مفاوضات لترسيم الحدود بين لبنان وإسرائيل؛ عل هكذا طاولة تقيمها أذاها المتصاعد منذ التحليل العلني لطائرة إف-35 فوق بيروت، وصولا إلى ضربة عين قانا ومرورا بهجوم المسيرات على معدات مسلح معينة في قلب الضاحية الجنوبية، ثم فاجعة المرفا توتيجا لهذه العداوية المتصاعدة.

المشترك بين الاستهدافات الأربعة، ومثلها ما حصل ويحصل في سوريا وداخل إيران، هو الأسلحة النوعية التي زُعت الميزان العسكري المتنازل منذ زمن بينهم وبين راعيتهم وبين الدولة العربية؛ هذا ما أنتج سياسيا "الاتفاق الإطار" الذي تخض عن مفاوضات الناقورة. هي مفاوضات طلبها لبنان رسميا من أميركا، موضوعها ترسيم الحدود البحرية حصرا، حيث أن إسرائيل رسمت ورستخت الحدود البرية من جانب واحد إلى حد بعيد؛ ولأن مزارع شعبا مسألة



سيمون كرم  
محام لبناني وسفير سابق  
في واشنطن

"كان لديكم خيار بين الحرب والمهانة؛ اخترتم المهانة، وسوف تدركم الحرب" ونستون تشرشل عندما قبل الرئيس حافظ الأسد بالانضمام إلى "مؤتمر مدريد للسلام"، بعد حرب الخليج الثانية، قصد أن مجرد التفاوض مع إسرائيل، وجها لوجه، على شروط السلام، بشكل بحد ذاته ضمانا لنظامه، ومصدر اطمئنان لاستمرار حكمه؛ هو الواقع في عداد الرهط الذي خسر "الحرب الباردة"، كما كان المسؤولون الأميركيون يذكرونه من وقت إلى آخر.

دهاؤه تمثل في القدرة على تحويل هذا الموقع المتهاك إلى مصدر للكثير من المكاسب في الإقليم؛ ليس ألقها تصدر المراتب العربية إلى جانب العاهل السعودي ورئيس مصر، وأعظمها تأكيد وصايته على لبنان وتثبيت أركانها والاستفادة مما أتاحتها اقتصاديا وسياسيا.

لهذه الأسباب الوجيهة رفع الدكتور البعني مسألة التفاوض مع عدوه القومي إلى واحد من الإقليم المكونة لعقيدة عبادة الشخصية، خلال مغارب حكمه المديد، بعد "التحرير في حرب تشرين المجيدة" و"التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل" خلال مراحل سابقة، رفع شعار "فن التفاوض".

وهكذا، على مدى عقد طويل من الزمن السياسي في الشرق الأوسط، جلس رئيس الأسد إلى أكثر من طاولة تفاوض في العاصمة الأميركية وخارجها، قبالة أكثر من حكومة إسرائيلية؛ مفاوضين في الظاهر على مصير الجولان ومعاهدة الصلح بين الدولتين؛ فيما سيدهم يضم في الباطن استمرار التفاوض، واستهلاك المفاوضين، الأميركيين والإسرائيليين والسوريين على حد سواء!

إنه "فن التفاوض" الذي داب الإعلام السوري في تلك الأيام، ومع رديفه اللبناني المؤيد للوصاية، على كبل المادخ ورفع آيات التسيب لذلك الإعجاز الأسدي؛ "درة جبهة الصمود والتصدي"، ففاوض على الجولان الساكن، ويمنع التفاوض على جنوب لبنان الملتهب، ويخون الفلسطينيين وسائر العرب، بريقة الهرولة إلى العدو والتفريط بحقوق الأمة.

## سر ياسر عرفات

الكليات الفصائلية، ولاسيما الأكثر تشددا بالتشدد بالحديث عن الكفاح المسلح.

باختصار، رحل عرفات لكن قضيته وقضية فتح وقضية الفلسطينيين بقيت، وأهمية عرفات أنه السيد فلسطين، وأهمية فتح أنها أكثر حركة تشبه شعبها وتعبّر عنه، لهذا منحها شعبها قيادته.

وبخصوص حركة فتح، ففي هذا اليوم الذي يفترق فيه الفلسطينيون زعيمهم الراحل، يفترقون تلك الحركة (فتح) التي قادت الكفاح الوطني المعاصر، إذ هي، أيضا، لم تعد ذاتها. مفهوم أنه ليس ثمة ظاهرة تبقى على حالها، فحتى الحركات السياسية تدب فيها الشيخوخة، ويأخذ منها التعب، ويعتشر في جسمها المرض، لكن الحركات السياسية الحية هي تلك التي تحرص على تجديد شبابها، ومراجعة طريقها وخياراتها السياسية، وتنفض الجمود والتكلس والعفن عن بناها وأجسامها، وهي تلك التي تستطيع أن تنقل الإلهام إلى شعبها، وأن تبقى في الأمل.

روح "فتح" تلك روح الشعب الفلسطيني، هي التي ينبغي استعادتها، ما يتطلب مراجعة نقدية مسؤولة، واستعادة فتح لطابعها كحركة تحرر وطني، وكحركة وطنية تعددية متنوعة، تتأسس على معايير الكفاءة والروح النضالية والتمثيل وفق المعايير الديمقراطية التمثيلية، والانتهاه من الانحصر في خيار سياسي واحد، وتوليد رؤية سياسية تكفل المطابقة بين قضية فلسطين وشعب فلسطين وأرض فلسطين، في مشروع وطني يتأسس على الواقع والمستقبل، وعلى الممكن والمتخيل، وعلى الحقيقة والعدالة.

المواضع، ولحيته الكثة أغلب الأحيان، وملابسه التي تبدو ليست على عجل، وفي حطته التي تحيل إلى التاريخ، وإلى قمة الصخرة، وفي لهجته الفلسطينية التي تخالطها المصرية. أيضا فقيه كل ما يحب وما لا يحب، في عنفوانه وانكساره، في قوته وضعفه، في نزاهته وتلاعباته، في إجاباته وتخلياته.

على ذلك فمن الطبيعي أن يبقى هذا الرجل مثارا للجدل بين الفلسطينيين، معه وضده، رغم أن كثيرا ممن هم ضده لا يتكلمون له مكاتبة في الزعامة والقيادة وتلك الرمزية الوطنية الكفاحية التي تجسدت فيه.

الآن، في الذكرى الـ16 لرحيل ياسر عرفات، هل يمكن تقديم تقييم موضوعي للزعيم الفلسطيني الراحل، الذي قضى شهيدا، دافعا ثمن انطلاق الكفاح المسلح، وثمن التحول من حركة تحرر وطني إلى سلطة؟

(2000 - 2004). الفكرة أن أبوعمار هو كل ذلك لذا من الضيم محاكمته بطريقة أحادية، يا أبيض يا أسود، فالواقع مركب ومعقد ولا يشتغل على هذا النحو.

رغم كل ذلك بقي ياسر عرفات، الذي لم يات على ظهر دبابه، بمثابة الزعيم المنوخ من شعبه الموزع على كل بلدان الدنيا تقريبا، ومن دون أن تكون له أي سيادة عليه، ومن دون تقديم أي فرائض متوجبة عليه، سوى رفع راية فلسطين، كان هذا الشعب الذي خرج من رحم النكبة وجد نفسه مجددا، كطائر الفينيقي، بفضل تلك الشعلة التي أوقدها ياسر عرفات في مطلع العام 1965، وهو تاريخ انطلاق حركة "فتح"، بحيث أضحت تاريخ الفلسطينيين، يؤرخ قبل تلك الانطلاقة وبعدها.

وفي الحقيقة فإن سر ياسر عرفات يمكن في عاديته، في أنه واحد من الفلسطينيين العاديين في جسمه



ماجد كيايي  
كاتب وسياسي فلسطيني

لم يختلف الفلسطينيون على شخص، ولم يتفقوا، بقدر ما حصل ذلك بخصوص ياسر عرفات، أو بحسب لقبه المحب أبوعمار، إذ شكل ذلك الشخص ظاهرة محيرة فعلا، فهو الذي كان وراء انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني، ولكنه كان أيضا وراء البرنامج المرهق، وفوق هذا وذات فإن اتفاق أوسلو (1993) ما كان يمكن أن يمر على الفلسطينيين، ولا من أي شخص آخر، لولا أنه تغطى بكوفيته القمطية، التي ترمز إلى كفاح الفلسطينيين العنيد والطويل.

أيضا، هذا الرجل خرج على النظام الرسمي العربي، وعلى مصاردة ذلك النظام للقرار الفلسطيني، ولكنه هو أيضا تعاييش أو انضوى في إطار هذا النظام، في تمثيل منظمة التحرير مع ما عرف بالشرعية العربية والدولية، وتكمن مقرته أو حنكته الفطرية هنا، في قدرته على استثمار تناقضات أو تناقضات النظام العربي، وهي اللعبة التي أجادها أحيانا، وخسرها في أحيان أخرى، ما دفع الشعب الفلسطيني فثمنها غالبا.

الفكرة أن أبوعمار نتاج الواقع الفلسطيني والعربي والدولي المعقد والصعب، فهو في أن واحد معا رمز الكفاح المسلح الفلسطيني، والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، وهو أيضا رمز للمفاوضة والتسوية، فهو رئيس المنظمة ورئيس السلطة، لكنه إضافة إلى كل ما تقدم هو الذي انقض على اتفاق أوسلو، في مفاوضات كامب ديفيد 2 (2000) وفي احتضانه لكتائب الأقصى في الانتفاضة الثانية المسلحة



**العرب**  
أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
**د. هيثم الزبيدي**  
رئيس التحرير والمدير العام  
**محمد أحمد الهوني**  
مدراء التحرير  
**مختار الدبابي**  
**كرم نعمة**  
**حذام خريف**  
**منى المحروقي**  
مدير النشر  
**علي قاسم**  
المدير الفني  
**سعيدة العقبوي**  
تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
**المكتب الرئيسي (لندن)**  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778  
للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk  
www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk